# الفصل الثانى

## شمشون ودليله

يبدو شمسون البطل المارد ، ذا شخصية غريبة بين قضـــاة بنى اسرائيل الكبار • وقد ذكر الكتاب المقدس أن شمسون كان يشـــغل منصب القضاة فى بنى اسرائيل طيلة عشرين عاما ، ولكنه لم يـــذكر شيئا عن احكامه القضائية التى أصدرها وفقا لشخصيته القضائية • واذا كان لنا أن نصدر حكما على فحوى أحكام شمسون من خـــلال طبيعة أفعاله ، فانه يحق لنا أن نتشكك فيما إذا كان هذا الرجل يعـــد مفخرة فى تاريخ القضاء الاسرائيلى ، ذلك أن موهبته كانت أكثر ما تتمثل فى احداث الشغب والعراك وفى احراق مؤن الذرة التى يختزنها الناس ، وفى كثرة التردد على بيوت الدعارة • أى أن شمسون كـــان يبدو فى شخصية الطليق الفاجر الخليع أكثر مما كان يبدو فى شخصية القاضى الكفء الصارم • ومن ثم فنحن لن نعالج الآن قائمة جافة من الأحكام القانونية ، وانما سنعالج حكايات مغامراته المسلية غـــير اللائقة ، فى الحب والحرب ، أو بالأحرى فى القرصنة • ذلك أننا اذا قبلنا الحكايات التى دونت عن هذا الطائش الفاجر ، ونحن ملتزمون بها بدون شك ، فاننا نجد أنه لم يقم قط بحرب نظامية ، كما لم يقم بعصيان وطنى مسلح ضد الفلسطينيين الذين ظلموا قومه ، وانما كان يقوم بمجرد هجوم مفاجىء عليهم بوصفه البطل الفرد أو الفـــارس المتجول ، ثم يضربهم بفك حمار أو بأى سلاح آخر يقع فى يده • وحتى فى هذه الغارات التى تقوم على السلب ، ( اذ أنه لم يكن يتورع عن أن يسلب ضحاياه من ملابسهم ، ومن المحتمل من ثروتهم ) كانت فكرة تخليص قومه من العبودية ، كما يتضح من كل الشواهد ، آخر ما يتراءى

له • وعندما كان يقوم بمذبحة للفلسطينين ، كما كان يفعل ذلك كثيرا في تهور بالغ ، وبارتياح قلبي ، فانه لم يكن يفعل هذا بدافع وطنـــي أو دهاء سياسي ، وانما بدافع حقد شخصي صرف يهدف الى الانتقام من هؤلاء الذين أساءوا له ولزوجته وولدهما • فقصته من بدايتها حتى نهايتها هي قصة مغامر أناني مخادع تحركه ثورات عاطفية جامحة ، ولا يكترث بشيء سوى ارضاء نزواته الوقتية • ولم يخفف من حدة نذالة هذه الشخصية وابتذالها المألوف سوى تلك القـــوة الخـــارقة للعادة ، والبسالة الطائشة ، ونمط مقيت من الفكاهة • وقد رفع هذا كله القصة الى نـــوع من الملحمة الهـــزلية من النـــوع الذي كتبـــه « أريستو » (١) • واذا كانت هذه العناصر قد أضفت الجدة عـــلى قصة معارك هذه الشخصية ، فانها لم تقلل من احساسنا بالنفور من هذه الشخصية الغريبة المختالة المتغطرسة ، وبخاصـــة اذا وضعناها جنبا الى جنب مع شخصيات القديسيين والأبطال الذين صوروا في معرض التاريخ الاسرائيلي • وربما تمثلت الحقيقة في أن المبـــالغة في تصوير شخصية شمسون ترجع الى لمسات مصور القصـــة أكثر مما ترجع الى الحقيقة التاريخية • اذ من المحتمل أن الحوادث العجيبة المسلية التي رويت عن تاريخ حياة هذه الشخصية السيئة السمعة ، قد انسابت في غير ضابط بوصفها حكايات شعبية ، مع تيار التـــراث الشفاهي ، وذلك قبل ان تبلور بزمن طويل في ذاكرة الشعب حـــول شخصية رجل حقيقي باسل من سكان النجاد والحدود ، ومن نـــوع الرجال العبريين الذين كانوا يعيشون على السلب والنهب ، الـــذي اشتهر بوصفه بطل بني اسرائيل في كثير من الغزوات التي كان يقوم بها عبر الحدود الى سهول فلسطين الغنية ، بفضل مزاجه الحاد وقوته الخارقة وجسمه القوي • ذلك لأنه ليس هناك سبب مقنع يجعلنا نشك

---

( ١ ) شـــاعر ايطالي كوميدي عاش في نهـــاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر . ( المترجمة ) .

فى وجود أساس صلب من الواقع يرتكز عليه هذا التكوين المهلهل الخيالى الذى تشف عنه أسطورة شمشون • ومما يؤكد كل التأييد وجود رواية محلية أصلية لحكاية شمشون ، ويعارض فى الوقت نفسه نظرية الأسطورة الفلكية التى يمكن أن يلجأ اليها أصحابها فى تفسير قصة البطل الأسمر ، أن مناظر قصة حياة هذا البطل قد صورت فى أخص خصائصها من ميلاده الى مماته فى بلاد وأمكنة بعينها ••

وأكثر ما يتضح تدخل القاص فى هذه الحكاية ، فى وصف الكارثة التى حلت بالبطل بسبب خداع امرأة منافقة له ، بعد أن استطاعت أن تستدرجه حتى اكتشفت سر قوته وأفشته الى اعدائه • وتجرى حكاية هذا الخداع على النحو التالى :

« وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة فى وادى سورق اسمها دليلة • فصعد اليها أقطاب الفلسطينيين وقالوا لها : تملقيه وانظرى بماذا قوته ومائة شاقل فضة • فقالت دليلة لشمشون أخبرنى بماذا قوتك وبماذا توثق لاذلالك ؟ • فقال لها شمشون اذا أوثقونى بسبعة أوتار طرية لم تجف ، أضعف وأصير كواحد من الناس • فأصعد لها أقطاب الفلسطينيين سبعة أوتار طرية لم تجف فأوثقته بها والكمين لابث عندها فى الحجرة • فقالت له ، الفلسطينيون عليك يا شمشون • فقطع الأوتار كما يقطع فتيل المشاقة اذا شم النار ولم تعلم قوته • فقالت دليلة لشمشون ، ها قد ختلتنى وكلمتنى بالكذب ، فأخبرنى الآن بماذا توثق ؟ • فقال لها اذا أو ثقونى بحبال جديدة لم تستعمل أضعف وأصير كواحد من الناس • فأخذت دليلة حبالا جديدة وأوثقته بها وقالت له ، الفلسطينيون عليك يا شمشون ، والكمين لابث فى الحجرة • فقطعها عن ذراعه كخيط • فقالت دليلة لشمشون حتى الآن ختلتنى بالكذب • فأخبرنى بماذا توثق ؟ فقالت لها اذا ضفرت سبع خصل رأسى مع السدى ، فمكنتها بالوتد • وقالت له • الفلسطينيون عليك

يا شمشون • فانتبه من نومه وقلع وتد النسيج والسدى • فقالت له ، كيف تقول أحبك وقلبك ليس معى ؟ هو ذا ثلاث مرات قد ختلتنى ولم تخبرنى بماذا قوتك العظيمة ؟ ! • ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه ، ضاقت نفسه الى الموت • فكشف لها كل قلبه وقال لها : لم يعل موسى رأسى لأنى نذير الله من بطن أمى • فان حلقت تفارقنى قوتى وأضعف وأصير كأحد الناس • ولما رأت دليلة أنه قد أخبرها بكل ما فى قلبه أرسلت فدقت أقطاب الفلسطينيين ، وقالت اصعدوا هذه المرة فانه قد كشف لى كل قلبه • فصعد اليها أقطاب الفلسطينيين وأصعدوا الفضة بيدهم • وأنامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت باذلاله وفارقته قوته • وقالت الفلسطينيون عليك ياشمشون • فانتبه من نومه وقال أخرج كل مرة • وانتفض • ولم يعلم أن الرب قد فارقه • فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به الى غزه وأوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن فى بيت السجن » (١) •

وهكذا نرى ان العبريين كانوا يعتقدون أن قوة شمشون المهولة كانت تكمن فى شعره . وأن مجرد حلق خصلات شعره الطويلة الشعثاء التى كانت تتدلى على كتفيه ، ولم تحلق منذ نعومة أظفاره — كان كافيا أن يسلبه قوته الخارقة للعادة ، ومن ثم يصبح عاجزا عن القيام بأعماله البطولية • وهذا الاعتقاد فى أن بعض الأحياء من الرجال والنساء ، وبخاصة هؤلاء الذين يعتقد فى امتلاكهم لقوة خارقة للعادة مثل شمشون ، ينتشر فى جهات كثيرة من أنحاء العالم • فقد كان أهالى جزيرة « أمبوينا » ، وهى جزيرة تقع فى جزر الهند الشرقية ، يعتقدون أن قوتهم تكمن فى شعرهم وأنهم يفقدون تلك القوة اذا ما قصوا خصلات شعرهم • وبالمثل كان المتهم أمام المحكمة الهولندية فى هذه

---

( ١ ) سفر القضاة ، الاصحاح السادس عشر من آية ٤ الى ٢١ .

الجزيرة يصر على عدم الاعتراف بجريمته ولو تعرض للعذاب ، حتى تقص خصلة من شعره وعند ذاك يعترف بجريمته فى الحال • وقد حدث أن اتهم رجل بجريمة قتل وتعرض لأقسى انواع العذاب حتى يعترف بجريمته دون أن يبدى أى ألم ازاء هذا التعذيب • ولكنه عندما أبصر رجلا يحمل مقصا فى يده ، سأل عن الغرض من حمل الرجل لهذا المقص • فقيل له أنهم يريدون أن يقصوا له شعره ، وعند ذاك توسل اليهم فى الحال الا يفعلوا ذلك ، لأنه سوف يعترف لهم بكل شىء • ومن ثم فقد تعودت السلطات الهولندية أن تقص شعر المتهم ، اذا فشل التعذيب فى حمله على الاعتراف • وما زال سكان « سيرام » وهى جزيرة أخرى من جزر الهند الشرقية ، يعتقدون أنه اذا حلق شبابهم شعورهم فان الضعف والوهن ينتابهم أثر ذلك •

وقد ألف الأوربيون أن يعتقدوا أن القوة الشريرة عند السحرة والعرافين تستكن فى شعورهم ، وأنه ليس هناك من شىء يؤثر فى هؤلاء الأوغاد طالما كانوا يحتفظون بشعورهم على رءوسهم • ومن ثم فقد جرت العادة فى فرنسا أن يحلق كل جزء من أجسام الذين يتهمون بالشعوذة ، وذلك قبل تسليمهم الى من يقوم بتعذيبهم • وقد رأى « ميلايوس » رأى العين التعذيب الذى تعرض له بعض الأفراد فى تولوز حتى يعترفوا بجرائمهم وظلوا على هذا النحو من الاصرار حتى عروا من ملابسهم وحلق كل جزء من أجسامهم • كما كانت هناك امرأة تعيش حياة ورعة فيما يبدو ، ولكنها اتهمت بممارستها السحر ، ومن ثم فقد تعرضت لشتى أنواع التعذيب الذى تحملته بشكل لا يصدقه عقل ، حتى دفعها ازالة شعرها عن جسدها كله الى الاعتراف بتهمتها • وقد كان المحقق المرموق « سبرنجر » يكتفى بحلق رأس المتهم بممارسة السحر أو الشعوذة ، فى حين أمر زميله المتطرف « كومانوس » بحلق شعر جسم إحدى وأربعين امرأة قبل أن يحكم عليهن بالموت حرقا • وكان قد فوض تفويضا كاملا لأن يكون مدققا فى هذا العمل على نحو ما فعله ، حيث أن الشيطان نفسه كان قد

خطب من أعلى منبر كنيسة « نورث بيرويك » ليطمئن اتباعه بأن أكد لهم أن الأذى لن يلحق بهم قط « طالما كانوا يحملون شعرهم على أجسامهم ، وأنه لن يسمح لأحد بأن يزيل هذا الشعر عنهم » • وقد كان يحدث ما يشبه هذا فى مقاطعة « باستار » فى الهند • « فعندما كانت تثبت التهمة ضد رجل من هذه المقاطعة بأنه يمارس السحر ، فان الجمهور كان ينهال عليه ضربا ، كما كان يحلق شعره ، حيث أن قوى الشر تكمن فى شعره وتخلع أسنانه الأمامية حتى لا يستطيع ترديد التعاويذ • أما النساء اللاتى يتهمن بممارسة المشعوذة ، فانهن يتعرضن لمثل هذا الامتحان القاسى • فاذا ثبتت تهمتهن ، فانهن ينلن العقاب الذى يناله الرجال المشعوذين • وفضلا عن حلق شعورهن ، فانها كانت تربط فى شجرة فى مكان عام » وعندما كانت المرأة تتهم بممارسة السحر عند « البهيليين » وهم شعب بدائى يسكن الهند الوسطى ، فإنها كانت تتعرض لصنوف من التهديد التى تحملها على الاعتراف بائمها ، كأن تعلق أمامها على شجرة رءوس أشخاص سبق أن حكم عليهم بالشنق ، وكأن يوضع الفلفل فى عينيها ، وتقص خصلة شعر من رأسها وتدفن فى الأرض « حتى تنفصم آخر عروة بينها وبين قواها الشريرة السالفة » • وقد كان « الأزتيكيون » فى المكسيك يعاقبون السحرة والمشعوذين على هذا النحو ، « فعندما كان هؤلاء يقومون بأفعالهم الشريرة ، ويحين الوقت الذى ينبغى أن يوضع فيه حد لحياتهم المقيتة ، يلقى القبض عليهم وتحلق خصلة من الشعر من قمة رءوسهم ، فتسلب منهم مقدرتهم على التنجيم والشعوذة ، وفى النهاية يحكم عليهم بالموت ، فتنتهى بذلك حياتهم الكريهة •

وليس غريبا ان يجد هذا الاعتقاد الذى ينتشر على نطاق واسع ، مكانا له فى الحكايات الخرافية • فكل ما يبدو فى الحكاية الخرافية من خيال منطلق ، انما هو مرآة تنعكس عليها المعتقدات الحقيقية التى كان يعتقدها الناس الذين نشأت بينهم هذه الحكايات • فسكان جزيرة نياس التى تقع بعيدا عن الشاطىء الغربى من سومطرة يحكون

أنه كان فى سالف الأزمان زعيم بعينه يدعى « لابو ــ ماروس » • وقد هاجر هذا الزعيم من « مكاسار » التى تقع فى « سيليبس » بسبب الزلازل ، ورحل مع رفاقه الى « نياس » • وكان من بين الذين شاطروه مصيره فى الأرض الجديدة ، عمه وزوجة هذا العم • ووقع ابن الاخ النذل فى حب زوجة عمه ، ودبر مؤامرة لكى يمتلكها لنفسه • وعندئذ هرب عمه المعذب الى « مالاكا » حيث طلب من سلطان « جوهورى » أن يساعده فى الانتقام من ابن أخيه • فوافق السلطان وأعلن الحرب على « لاوبو ماروس » • فى هذه الأثناء حصن الزعيم المخادع مكان اقامته بسور شائك من فروع البامبو بحيث باءت محاولات السلطان وجيشه بالفشل فى سبيل الاستيلاء على هذا المكان عنوة • فلما انهزم السلطان على هذا النحو فى هذه المعركة المكشوفة لجأ الى الخديعة • فعاد الى بلدة « جوهورى » ، وحمل سفنه بالحصر الأسبانية ثم أبحر مرة اخرى الى « نياس » ، ورسا بعيدا عن قلعة عدوه ، وشحن بنادقه بالحصر بدلا من البارود والمفرقعات ، وصوبها الى قلعة عدوه • وفى الحال تطايرت الحصر فى الهواء كوابل من البرد ، وغطت سور القلعة الشائك ، كما غطت الشاطىء المجاور • ولما أحكم السلطان الفخ على هذا النحو ، انتظر ما يفعله عدوه • على أنه لم ينتظر طويلا ، عندما أبصر امرأة عجوزا تجوس على طول الشاطىء خلسة ، وتأخذ احدى هذه الحصر ، بينما كانت سائر الحصر تنتشر حولها فى اغراء • وسعدت المرأة بهذا الاكتشاف ومضت تحمل أنباء هذه الحصر الى الجيران • عند ذاك خف الجميع الى هذا المكان ، وفى لحظة لم يصبح السور الشائك عاريا من الحصر فحسب ، وانما هو محطما الى الأرض • ولم يبق أمام السلطان سوى أن يسير بجيشه الى القلعة ويستولى عليها • وعند ذاك هرب الجيش المدافع عنها . ووقع الزعيم النذل أسيرا فى يد اعدائه الظافرين الذين حكموا عليه بالاعدام • على أنهم لم يستطيعوا أن ينفذوا هذا الحكم فيه لأنهم عندما رموه فى اليم ، لم يغرقه الماء • فلما طرحوه وسط كومة

من الحطب المحترق ، لم تحرقه النار • فانهالوا على جسمه بالسيوف ، ولكن السيوف لم تخترقه • وعند ذلك أدركوا أنه لا بد أن هناك قوى سحرية تتملكه • فلجأوا الى زوجته عساهم يلمسون عندها النصح فى كيفية قتله • ورضخت الزوجة لمطلبهم وأفشت سر زوجها الخطير كما فعلت دليلة مع شمشون ، وأخبرتهم بأن هناك شعرة صلبة كالسلك النحاسى بين شعر رأس زوجها ، وأن حياته ترتبط بهذه الشعرة • فلما انتزعت الشعرة من رأس الزعيم ، فارقته روحه فى الحال • ونلاحظ فى هذه الحكاية كما هو الحال فى غيرها من الحكايات ، أن الشعر لا يعد مكمنا لقوة الشخص فحسب ، بل يعد كذلك مكمنا لروحه • ومن ثم فان فقدان الشخص لشعره يعنى فقدانه لحياته •

وكثيرا ما تتردد فى تراث الاغريق الأسطورى حكايات شبيهة بحكاية شمشون ودليلة • فقد حكى أن « نيسوس » ملك « ميجارا » ، كانت له شعرة ذات لون ذهبى أو أرجوانى وسط رأسه • وقد كان هذا الملك معرضا للموت اذا ما انتزعت هذه الشعرة من رأسه • فلما هاجم الكريتيون « ميجارا » وانتصروا عليه ، وقعت ابنة « ميجارا » فى حب « مينوس » ملك الكريتيين • ولم تتورع الابنة عند ذاك من انتزاع هذه الشعرة من رأس أبيها الذى توفى فى الحال • ووفقا لرواية أخرى انه لم تكن تستقر فى هذه الشعرة روح « ميجارا » ، بل قوته • فلما انتزعت هذه الشعرة من رأسه وهن العظم منه ، وبذلك تمكن « نيسوس » من قتله • وهذه الرواية الأخيرة أقرب لقصة شمشون ودليلة من الرواية الأولى منها • وقد قيل ان « بوزايدون » قد أكسب « بيتيريلاوس » الخلود بأن منحه شعرة ذهبية فوق رأسه • ولكن عندما استولى « أمفيتيو » على « تاقوس » موطن « بيترلاوس »، ووقعت ابنة الأخير فى حب « أمفيتريو » ، انتزعت الشعرة التى كانت تستقر فيها روح أبيها ، وبذلك قضى أبوها نحبه • وتحكى حكاية شعبية أغريقية عن رجل كانت تكمن قوته فى ثلاث شعرات ذهبية فى رأسه • فلما انتزعت أمه هذه الشعرات من رأسه ، انتابه الوهن

والجبن ، ثم قتل بيد أعدائه من بعد • وهناك حكاية أغريقية أخرى تحتوى على أثر من حكاية « نيسوس » و « سيسلا » ، وتحكى أن ملكا كان يعد أقوى رجال عصره ، وكانت له ثلاث شعرات فى صدره تكمن فيها قوته • فلما خرج لمحاربة ملك آخر ، كانت زوجته المخادعة قد انتزعت هذه الشعرات من صدره ، وبذلك أصبح أضعف الرجال فى هذه الحرب •

وتشبه حكاية خداع دليلة الغادرة لعشيقها شمشون ، عندما كشفت لأعدائه عن سر قوته ، ما يحكى فى التراث الكلتى والسلافى من حكايات شبيهة بذلك • ووجه الاختلاف بين الحكايات الكلتية والسلافية من ناحية ، والحكاية العبرية من ناحية أخرى ، هو أن قوة البطل أو روحه لا تكمن فى الحكايات الأولى ، فى شعره ، بل تكمن فى شىء خارجى مثل بيضة أو طائر • فهناك حكاية روسية تحكى ان ساحرا بعينه يسمى « كاشتشاى » أو « كوششاى الذى لا يموت » ، خطف أميرة وحبسها فى قلعته الذهبية • وبينما كانت الأميرة تسير ذات يوم فى حديقة القلعة وحيدة حزينة ، تقابل معها أمير من الأمراء وعرض عليها أن تهرب معه • وسعدت الأميرة بهذه الفكرة ، وذهبت الى الساحر وقالت له بألفاظ ناعمة رقيقة : « أتوسل اليك يا أحب رجل عندى أن تخبرنى : ألن تموت أبدا » ؟ فأجابها قائلا : « أجل ، بل أننى سأموت » • فقالت له : « حسنا ، ولكن أين مكمن موتك ؟ هل هو فى هذا المسكن الذى تعيش فيه ؟ « فقال لها » : نعم انه بكل تأكيد فى هذا المسكن ، انه يكمن فى المكنسة التى تقع تحت عتبة الباب » • عند ذاك أتت الأمير بالمكنسة وألقت بها فى النار • وعلى الرغم من أن النار التهمت المكنسة فإن « كوششاى الذى لا يموت » ظل حيا لأنه لم يذكر لها شيئا عن شعره • فلما رأت الأميرة الماكرة الذكية أنها لم تنجح فى محاولتها الأولى ، جاءته مرة أخرى مقطبة وجهها وقالت له : « انك لا تحبنى حبا صادقا ، لأنك لم تخبرنى بالمكان الحقيقى الذى يكمن فيه موتك • ومع ذلك فاننى لست غاضبة منك لأننى أحبك من صميم قلبى » • وبهذه الكلمات المتملقة استدرجت

الساحر الى أن يخبرها بحق بالمكان الذى يكمن فيه موته • فضحك الساحر وقال لها : « لماذا تلحين وراء هذا الموضوع ؟ ومع ذلك فسوف أخبرك بذلك بدافع حبى لك • فهناك فى حقل بعينه تنمو ثلاث شجرات من البلوط ، وهناك تحت جذور أكبر هذه الشجرات تعيش دودة • فاذا تمكن أحد من العثور على هذه الدودة وقام بسحقها فاننى سأموت على الفور » • وبهذه الكلمات رحلت الأميرة على التو الى حبيبها وأخبرته بقول الساحر ، فهم فى البحث عن الشجرات حتى وجدها واستخرج الدودة وسحقها • ثم أسرع الى قلعة الساحر حيث وجده ما يزال على قيد الحياة • فلجأت الأميرة مرة ثالثة الى حيلة تملقت بها الساحر ولاطفته حتى غلبته بخداعها وفتح لها مكنون صدره وأخبرها بالحقيقة وقال لها « ان موتى يكمن فى المحيط الشاسع بعيدا عن هذه الأمكنة جميعا ، وليس من اليسير الحصول عليه • ففى هذا المحيط توجد جزيرة ، وهناك فى هذه الجزيرة تنمو شجرة بلوط يستقر تحتها صندوق حديدى بداخله سلة بداخلها أرنب برى • وبداخل الأرنب بطة وبداخل البطة بيضة • ومن يستطيع أن يعثر على البيضة ويهشمها ، فانه يقتلنى فى الوقت نفسه • وحصل الأمير بطبيعة الحال على هذه البيضة التى كان من شأنها أن تقرر مصيره ، وواجه الساحر وهو يحمل البيضة فى يه • وقد كان فى وسع الساحر أن يقتله ، لولا أن الأمير أسر وهشم البيضة بين يديه • وفى تلك اللحظة صرخ الساحر من الألم وتوجه الى الأميرة الخادعة التى كانت واقفة وهى تبتسم فى شماتة وقال لها : « ألم يكن حبى لك هو الذى دفعنى لأن أخبرك بالمكان الذى يستكن فيه موتى ، واذ بك تكافئينى على هذا النحو ؟ » • ثم حاول أن يمد يده ليأخذ السيف الذى كان معلقا أمامه على المشجب • ولكنه قبل أن يفعل هذا سحق الأمير البيضة ، فتوفى الساحر فى الحال •

وفى رواية أخرى لهذه الحكاية نفسها ، أن الأميرة طلت المكنسة بالذهب عندما أخبرها كذبا أن موته يكمن فيها • فلما كان وقت العشاء

أبصر الساحر بريق المكنسة من تحت عتبة الباب فسألها فى حدة : « ما هذا الذى فعلته ؟ » فقالت له « أترى كيف أننى أقدرك ؟ » فقال لها : « أيتها المرأة الساذجة . لقد كنت أمزح معك عندما أخبرتك أن موتى يكمن فى المكنسة . فموتى يكمن فى الحقيقة فى سور القلعة المصنوع من فروع البلوط » . فلما خرج الساحر فى اليوم التالى ، جاء الأمير وطلى السور كله بالذهب . فلما عاد الساحر فى المساء وكان وقت العشاء ، نظر من النافذة فبهره بريق الذهب الذى طلى به السور . فقال لها : « بحق الشيطان ، ما هذا الذى فعلته ؟ » فقالت له : « لعلك تتأكد كيف أننى أقدرك . واذا كنت أنت عزيزا على كما ترى ، فان موتك يعز على كذلك . ولهذا فقد طليت السور الذى يستقر فيه موتك بالذهب » . وخدع الساحر بقول الأميرة وأبدى الرغبة الصادقة فى أن يكشف لها سر البيضة الخطيرة . وعندما حصل الأمير على البيضة بمساعدة بعض الحيوانات الصديقة له ، وضع البيضة فى صدره وعاد الى قلعة الساحر . وكان الساحر يجلس آنذاك فى شباك قلعته مشتت العقل . وعندما وصل الأمير واطلع الساحر على البيضة ، صار الضياء فى عينه ظلاما وتحول الى شخص خنوع لين . ثم أخذ الأمير المنتصر يلعب بها ويقذفها من احدى يديه الى الأخرى ، وكوششاى الذى لا يموت يتخبط من ركن الى ركن فى الحجرة . وفى النهاية هشم الأمير البيضة ، فسقط الساحر ميتا .

وتحكى حكاية سيبيرية أن ساحرا بعينه يدعى « الصلب الأصيل » خطف زوجة أمير وحبسها فى كهفه . وأخذ الأمير يسعى حتى عرف مكانها وأخبرها بأن تسعى جاهدة فى اغراء « الصلب الأصيل » لكى يكشف لها عن مكمن قوته . فلما عاد « الصلب الأصيل » الى مسكنه ، قالت له زوجة الأمير : « هلا أخبرتنى بالمكان الذى تكمن فيه قوتك المهولة ؟ » فقال لها الساحر : « يا زوجتى العزيزة ، ان قوتى تكمن فى سيفى » . فاتجهت المرأة الى السيف وأخذت تصلى له . فلما رأى الصلب الأصيل ما فعلته ، سخر منها وقال لها : « أيتها المرأة الحمقاء

ان قوتى ليست فى سيفى ، وانما فى رمحى وسهمى » • فتوجهت المرأة الى الرمح والسهم وأخذت تصلى لهما • عند ذاك قال لها « الصلب الأصيل » : « اننى اعتقد يا زوجتى العزيزة ان هناك وراءك معلما ماهرا يحثك على أن تبحثى عن المكان الذى تكمن فيه روحى • بل اننى أود أن أقول ان زوجك ما زال على قيد الحياة . وهو الذى يحثك على هذا »• ولكن الزوجة أكدت له أن ليس هناك من يدفعها الى هذا • ولما رأت أنه قد ضللها للمرة الثانية انتظرت بضعة أيام ثم عاودت السؤال عن سر قوته • فقال لها : « حيث أنك تفكرين كثيرا فى هذا الموضوع . فسوف أخبرك بحق عن مكانها : هناك فى مكان بعيد يوجد جبل شاهق وعند هذا الجبل يسكن ثعلب يستقر داخل قلبه طائر • وفى هذا الطائر تسكن قوتى • على أنه ليس من اليسير القبض على هذا الثعلب ، لأنه يستطيع أن يحول نفسه الى كائنات مختلفة » • وعندما خرج الساحر فى اليوم التالى من كهفه جاء الأمير وعلم من زوجته المكان الحقيقى الذى تكمن فيه قوة الساحر فخف الى الجبل وهناك جاهد بمعونة أصدقائه من الطيور والكائنات المهولة مثل النسر والباز والتنين أن يمسك بالثعلب ، أو بالأحرى أنثى الثعلب التى كانت تغير نفسها الى أشكال مختلفة • ثم شق قلب الثعلب وانتزع منه الطائر وأحرقه فى النار • وفى تلك اللحظة سقط « الصلب الأصيل » ميتا على الأرض •

وتحكى حكاية سيبيرية أخرى أن تنينا كان يسكن فى طاحونة مائية وابتلع ابنى ملك من الملوك واحدا تلو الآخر • فلما خرج الابن الثالث ليبحث عن أخويه . ووصل الى الطاحونة المائية ، لم يجد هناك سوى امرأة عجوز حكت له عن هذا الكائن المهول الذى يدير الطاحونة . كما أخبرته أنه قد ابتلع أخويه ، ثم نصحته فى نهاية الأمر أن يرحل عن هذا المكان على الفور قبل أن يلقى مصير أخويه • ولكن هذا الأخ الذى كان شجاعا وماكرا فى الوقت نفسه ، قال لها : « هات الى أذنك واستمعى جيدا لما سوف أقوله لك • اسألى التنين

أين يذهب ، وأين تكمن قوته • فان أخبرك بذلك قبلى أمامه هـذا المكان بشدة ، كما لوكنت تحبينه كل الحب حتى تتوصلى الى معرفة هذا السر ثم أخبرينى بعد ذلك بما حدث » • وعندما عاد التنين الى مسكنه سألته المرأة العجوز قائلة : « بحق الاله أخبرنى أين كنت ، وأن تذهب بعيدا عن هذا المكان ، فانك لم تخبرنى قط بالمـكان الذى ترحل اليه » • فأجابها التنين قائلا : « نعم ياسيدتى العجوز ، اننى أرحل بعيدا » • عند ذاك أخذت تتملقه المرأة العجوز وتقول له « ولكن ما الذى يدعوك لأن ترحل بعيدا ؟ ألا تخبرنى بالمكان الذى تستقر فيه قوتك • اننى لو علمته لانهلت عليه تقبيلا : فابتسم التنين وقال لها : « ان قوتى تستكن هناك فى مكان النار هذا » • فأخذت المرأة العجوز تقبل مكان النار وتلاطفه • فلما أبصرها التنين وهى تفعل ذلك انفجر ضاحكا وقال لها : « أيتها المرأة البلهاء ان قوتى ليست فى هذا المكان ، وانما تكمن فى شجرة النباتات العطرية التى تنمو أمام مسكنى » • فانهالت المرأة على الشجرة تقبلها وتلاطفها • فضحك التنين منها مرة أخرى وقال لها : « دعى عنك هذه الافعال أيتها المرأة العجوز ؛ فقوتى ليست فى هذه الشجرة » • فقالت له المرأة : « وأين تكمن قـوتك اذن ؟ » فرد عليها قائلا : ان قوتى تكمن فى مكن بعيـد لا يمكنـك الوصول اليه • فهناك فى مملكة أخرى غير تلك المملكة ، توجد بحيرة تقع أسفل مدينة الملك • وفى هذه البحيرة يعيش تنين فى جوفه ثور • وفى جوف هذا الثور تعيش حمامة ، وبداخل هذه الحمامة تستكن قوتى » • وبهذا كشف التنين عن سره • فلما خرج فى صباح اليـوم التالى ليقوم بمهام عمله اليومى وهو التهام الناس ، جاء الامـير الى المرأة العجوز التى أطلعته على سر التنين • وبطبيعة الحال خف الأمير فى الحال للوصول الى البحيرة التى تقع فى البلاد النائية • وبعد صراع مرير استطاع أن يقتل التنين المـائى • ثم شق صدره وانتزع منه الحمامة التى كانت تكمن بداخلها قوة التنين المهول الذى يـدير الطاحونة المـائية • وبعد أن سأل الحمامة عن أخويه وكيفية ارجاع

الحياة اليهما ، لوى رقبة الحمامة فمات المتنين الشرير فى تلك اللحظة بطبيعة الحال • والى هنا تتوقف الحكاية ولا تذكر شيئا عن موضوع الأخوين والأميرة •

وكثيرا ما يرد هذا الموضوع فى الحكايات الكاتبة ، فقد روى عازف كمان كفيف كان يعيش فى جزيرة « اسلاى » ، أن عفريتا خطف زوجة ملك من الملوك كما خطف حصانيه واحتفظ بالجميع فى وكره • ولكن الحصانين هاجما العفريت وداساه بأقدامهما بحيث أصبح عاجزا حتى عن الزحف • ثم قال للملكة وهو على هذه الحال : لو أننى لم أحتفظ بروحى بعيدة عنى لقتلنى هذان الحصانان من زمن » • عنـد ذاك سألته الزوجة قائلة : « وأين تكمن اذن روحك ياعزيزى ؟ اننى أقسم لك بالكتب المقدسة أن أرعاها » فقال لها العفريت : « انها تكمن فى حجر « بوناش » • فلما خرج العفريت فى الصباح وضعت الملـكة الحجر فى شكل منظم للغاية استلفت نظر العفريت عندما عاد فى غسق المسـاء ، ومن ثم فقد قال لها « لماذا وضعت الحجر على هذا النحو المنظم ؟ » فأجابته قائلة : « لان روحك تستكن فيه » • فقال لها : « لقد أدركت الآن أنك ستقدمين واجب الاحترام لروحى ، اذا ما علمت مكانها الحقيقى • فروحى لا تكمن فى هذا الحجر ، وانما تكمن فى عتبة باب مسـكنى » • فلما كان الصباح نظمت الزوجة العتبة وزينتها • فلما عاد العفريت سألها قائلا : « ما الذى دفعك لأن تفعلى هذا ؟ » فأجابته : « أليست روحك كامنة فيها ؟ » فقال لها « اننى أرى الآن أنك ستولين روحى كل عنايتك اذا ما علمت أين تـكمن على وجـه الحقيقة » • فقالت له : « وهذا ما سوف أفعله » • فقال : « ان روحى لا تكمن فى عتبة مسكنى كما أخبرتك • وانما هنالك لوح حجرى يقع تحت عتبة المسكن ، وتحت هذا اللوح يرقد كبش مخصى ترقد بطة داخل معدته ، كما أن هناك بيضة داخل معدة هذه البطة • وبـداخل هذه البيضة تقع روحى » • فلما خرج العفريت فى الصباح ، رفعت الزوجة وزوجها الحجر وأخرجا الكبش المخصى ثم شقا بطنه وأخرجا

البطة وانتزعا من تجويفها البيضة • وأخذت الزوجة البيضة بين يديها وهشمتها • وفى هذا الوقت كان العفريت عائدا الى وكره فى غسق الليل • فلما تهشمت البيضة خر ميتا •

ومرة أخرى تقرأ فى حكاية من حكايات « أرجيليشاير » ، أن ملك « سورشا » وكان ماردا مهولا ، اختطف زوجة راع من « كروواشان » وأخفاها فى الكهف الذى كان يسكنه • وبعد جهيد تمكن الراعى بمساعدة بعض الحيوانات الخيرة أن يصل الى هذا الكهف الذى أخفى فيه الملك المارد زوجته • ولما كان المارد ، لحسن الحظ ، متغيبا ، فقد أخفت الزوجة زوجها فى مكان علوى من الكهف وغطته ببعض الملابس • فلما وصل الملك المارد أخذ يتشمم حوله وقال لها : « اننى أشتم رائحة شخص غريب فى هذا الكهف » • فأنكرت الزوجة ذلك وأوحت اليه بأنه انما يشتم رائحة طائر صغير قامت بشوائه • على أنها قالت له متوسلة : « ولكننى أود أن تخبرنى ، أين تكمن روحك ، حتى يمكننى أن أرعاها » • فقال لها : « إنها تكمن فى حجر رمادى يقع بعيدا هناك » • فلما خرجت الزوجة فى صباح اليوم التالى أتت بالحجر وألبسته رداء ووضعته فى المكان العلوى من الكهف • فلما عاد المارد سألها قائلا : « ما هذا الشىء الذى يرتدى ذاك اللباس ؟ » • فقالت له : « انه روحك ياعزيزى • ولا بد من أن أرعاها » • فقال لها : « لقد أدركت الآن مدى حبك لى ، ولكن روحى ليست فى هذا الحجر » • فسألته قائلة : « وأين هى اذن ؟ » فقال لها : « انها تكمن داخل شاة ذات لون رمادى وتعيش عند جانب التل » • فخرجت الزوجة فى صباح اليوم التالى وأحضرت الشاة وألبستها رداء ووضعتها فى الجانب العلوى من الكهف • فلما عاد فى المساء سألها قائلا : « وما هذا الشىء الذى ألبسته الرداء على هذا النحو ؟ » فقالت له : « انه روحك ياعزيزى » • فقال لها : « ولكنها ما تزال بعيدة عن ذلك » فقالت له :«إنك تكلفنى اذن جهدا كبيرا فى رعاية روحك • ولقد كذبت على مرتين متتاليتين » فقال لها : « اننى أعتقد الآن أنه يمكننى أن أخبرك

بمكانها الحقيقى ، ان روحى تكمن تحت قدم حصان كبير فى حظيرة الخيول ، فهناك فى مكان بعيد توجد بحيرة صغيرة ، وعلى سطح هذه البحيرة توجد سبع قطع من جلود الحيوان • وفوق هذه الجلود سبع حبات من الخلنج • وأســفل هذا كله توجد سبعة ألواح من خشب البلوط • وهناك فى البحيرة سمكة كبيرة بداخلها بطة تستقر فى جوفها بيضة • وأخيرا هناك شوكة سوداء داخل هذه البيضة • فاذا استطاع شخص أن يلوك هذه الشوكة بأســنانه فاننى أتوفى فى الحال • على أننى أشعر أينما كنت اذا ما مس أحد قطع الجلود السبعة ، وحبات الخلنج السبع ، وألواح البلوط السبعة • واننى أحتفظ بفأس بأعلى باب الكهف ، وبدون الاستعانة بهذه الفأس فى قطع هذه الاشــياء بضربة واحدة فانه لا يمكن الوصول الى قاع هذه البحيرة » • فلما خرج الملك المــارد فى صباح اليوم التالى للقنص فوق التل • جاهد الراعى بمعونة الحيوانات الخيرة التى سبق أن ساعدته من قبل ، فى الحصول على الشوكة المصيرية ولاكها بأسنانه قبل أن يتمكن المــارد من الوصول اليه • وما كاد يفعل هذا حتى سقط المــارد جثة هامدة •

ويحكى أهــالى « جيلجيت » التى فى مرتفعــات الهنــد الشمالية الغربية حكاية شبيهة بهذه الحكاية • فهم يروون أنــه كان يحــكم « جيلجيت » فى سالف الأزمان ملكا غولا يدعى « شرل بادات » • وكان هذا الملك الغول يكلف أتباعه باختطاف الاطفال وتقديم لحومهم طعاما لغذائه ، ومن ثم كان يسمى « بآكل اللحوم البشرية » • وكان لهــذا الملك الغول ابنة تدعى « سكينه » أو « ميوكهاى » تعودت أن تقضى شهور الصيف فى مكان جميل يقع على قمة الجبال ، فى الوقت الــذى كانت تصطلى فيه « جيلجيت » بحرارة الوادى الذى كانت تقع فيه بين الجبال • وذات يوم كان أمير وسيم يدعى « شامشير » يقتنص فى الجبــال بالقرب من مصيف الاميرة • ولمــا تعب الامير من القنص استراح هو ورفاقه وقت الظهير القائظة فى ظل شــجرة تقع بالقرب من نبع • فى تلك اللحظة ساق القدر ، أو ساقت الصــدفة خادمة

الأميرة الى هذا المكان ، لكى ترد من النبع • فلما رأت هؤلاء الغرباء نائمين فى هذا المكان ، عادت الى سيدتها وأخبرتها بالامر • فغضبت الاميرة من تطفل هؤلاء على مكان اقامتها ، واستدعتهم اليها • ولكنها عندما وقع بصرها على الامير الجميل ، هدأ غضبها وأخذت تتحدث معه طويلا حتى المساء • وكان كلما طلب الامير أن يهبط الجبل ، منعته الاميرة وطلبت منه أن يحكى لها عن مغامراته وأفعاله الباسلة • وفى النهاية لم تستطع أن تخفى مشاعرها ، وطلبت منه أن يتزوجها • فوافق الامير فى شىء من التردد لأنه كان يخشى عدم موافقة أبيها الشرير أن تتزوج من غريب مثله • ومن ثم فقد قررا أن يحتفظا بسرية زواجهما، وتزوجا فى تلك الليلة بعينها •

وما كاد الامير يفوز بالأميرة حتى أسرف فى طموحه ، وأخذ يسعى لأن يكون ملكا على هذه المملكة • ومن ثم فقد أوعز الى الاميرة أن تقبل أباها ، وأن تحمل لواء الثورة ضده • ووافقت الاميرة بدافع حبها لزوجها ، أن تدبر معه مؤامرة قتل والدها • ولكنها أدركت أن هناك عقبة تحول دون اتمام مهمتها ، هى أن الملك الغول « شرى بادات » كان من سلالة الجان ، ومن ثم فلم يكن يخشى أن يطعن بسيف أو برمح لان هذه الاسلحة لم تكن تؤثر فى جسمه ، كما أنه لم يكن أحد يعرف طبيعة روحه • ولهذا فقد كان أول واجب على الامير الطموح ، لكى يحقق مأربه ، أن يعرف طبيعة روح هذا الملك الغول على وجه التحديد • ومن ذا الذى يستطيع أن يستمد منه هذا السر أكثر من ابنته • وذات يوم أخبر الامير زوجته ، اما بدافع اشباع رغبتها فى التخلص من أبيها ، أو رغبة منه فى اختبار اخلاصها له ، بأنها لن ترى أباها قط اذا ما اصفرت أوراق شجرة بعينها وذبلت • ولما كان الوقت خريفا ، اذ كان الصيف قد أوشك على الانتهاء ، فقد أخذت أوراق تلك الشجرة فى الاصفرار والذبول • وظنت الاميرة أن ساعة وفاة أبيها قد حانت • وعند ذاك هبطت الجبل وهى تعول ، ربما بدافع وخز ضميرها ازاء الجريمة التى ترتكبها ضد أبيها ، ورحلت الى « جيلجيت » • ولشدة

دهشتها أبصرت أباها الملك الغول يتمتع بكامل صحته ويتناول غذاءه كعادته من لحم الاطفال • فتراجعت الى الوراء ، واعتذرت عن اقتحام جلسة أبيها وأخبرته بأن قديسا أنبأها بأنه مع ذبول أوراق شجرة بعينها تذبل حياة أبيها ويموت • ثم قالت له : « وفى هذا اليوم أبصرت أوراق تلك الشجرة وهى تذبل فخشيت عليك ؛ وجئت أرتمى عند قدميك • ولكن شكرا لله أن هذه النبوءة لم تتحقق وأن هذا القديس قد أثبت أنه نبى مزيف » • وتحرك قلب الغول بعاطفة البنوة وقال لها : « ليس فى وسع أحد فى الوجود يا بنتى العزيزة أن يقتلنى ، لأنه ما من أحد يعرف طبيعة روحى • فكيف يتسنى لأحد أن يقتلنى دون أن يعرف طبيعتها ؟ ان القدرة على ايذائى فوق مقدرة أى انسان » • وعند ذاك أجابت الاميرة بأن سعادتها تتوقف على حياته وعلى أمنه ، وحيث انها تعلم أنها أعز ما لديه فى الوجود ، فليس عليه أن يخشى أن يطلعها على سر روحه ، لأنها اذا عرفت هذا السر ، ففى وسعها أن تأخذ حيطتها ضد أى فأل شرير ، وأن تحميه ضد الاخطار التى تتهدده ؛ وبذلك تؤكد حبها لأبيها عندما توقف حياتها على أمن والدها • ولكن الأب الغول الحذر لم يكن يثق فيها ؛ وحاول أن يصرفها عن معرفة الحقيقة ، كما فعل « شمشون » ، وكما يفعل المردة فى الحكايات الخرافية ؛ باعطائها اجابات مراوغة أو خاطئة • ولكنه كشف لها فى نهاية الامر عن سره الخطير عندما غلبه لجاجها أو عندما طمأنه تملقها • فقال لها ان روحه مصنوعة من الزبد • فاذا رأت نارا مشتعلة فى قلعته أو حولها ؛ فلتعلم حينذاك أن هذا يكون آخر يوم فى حياته ، اذ كيف يمكن لزبد روحه أن يقاوم لهيب النار المشتعلة • ولم يكن يعلم الأب الغول أنه بقوله هذا كان يدع سره فى يد أمرأة ضعيفة وابنة عاقة كانت تدبر مؤامرة للقضاء عليه •

وبعد أن قضت الابنة الغادرة مع أبيها السليم النية بضعة أيام ، عادت الى مصيفها فوق التلال حيث كان ينتظرها زوجها شامشير بفارغ الصبر • وسعد كل السعادة عندما أطلعته على سر روح أبيها • ولما كان

الزوج قد عزم على أن يبذل كل ما فى وسعه لأن يقضى على هذا الملك الغول ، فقد وجد الآن الطريق ممهدا لأن يحقق رغبته • وقد استعان فى تنفيذ خطته بأتباع الملك الذين كانوا يتوقعون شغفا لأن يتخلصوا من هذا الغول ، وبذلك ينقذون من تبقى من أطفالهم من شراهته • وقد كان أتباع الملك عند حسن ظن الامير ، فما ان علموا بأن هناك من يود تخليصهم من هذا الغول ، حتى انضموا اليه طوعا واستعد الجميع للقضاء على هذا الوحش فى عرينه • وقد كانت الخطة التى عمدوا اليها بسيطة للغاية إذ كان عليهم أن يشعلوا النار حول القلعة ، فتنصهر بتأثير حرارتها روح الملك وتتحلل • على أن الامير أرسل زوجته الى أبيها فى « جيلجيت » قبل أن يقوم بتنفيذ خطته ببضعة أيام بعد أن أصدر اليها أوامر صارمة بأن تحتفظ بسرها ، حتى تبث فى نفس أبيها الغول احساسا بالطمأنينة • وبذلك أصبح الجو معدا لتنفيذ الخطة • فعندما أرخى الليل سدوله ، خرج الناس من بيوتهم يحملون المشاعل وحزما من الخشب • وعندما اقتربوا من القلعة ، بدأت تشعر روح الملك المصنوعة من الزبد بالقلق وتملكه احساس بالضجر • وعند ذاك أرسل ابنته فى ساعة متأخرة من الليل لتعرف سر هذا الاحساس الغريب الذى تملكه • فخرجت الابنة الخائنة الخادعة الى الخارج وتلكأت بعض الوقت حتى تترك الفرصة للمتمردين لكى يصبحوا على مقرب من القلعة ، ثم عادت الى أبيها وحاولت أن تؤكد له أنه انما يشعر بخوف كاذب ، اذ لم يحدث قط شىء يبعث فى نفسه هذا الاحساس بالقلق • ولكن احساس الملك الداخلى بالخطر الداهم كان أقوى من أن تزيله محاولات ابنته المخادعة • فخرج من حجرته ليرى أن ظلام الليل قد محته مشاعل النار التى تحيط بالقلعة • ولم يكن هناك وقت للتردد أو التلكأ ، وسرعان ما اتخذ قراره ، فقفز فى الهواء متجها نحو « شوتورخان » ، وهى منطقة ثلجية تقع بين الجبال العالية التى تحيط « بجيلجيت » ، وهناك أخفى نفسه تحت الثلوج • ولما لم تذب روحه هناك بين الثلوج ، فقد ظل يعيش هناك حتى هذا اليوم •ومع ذلك فما زال سكان جيلجيت يعتقدون أنه

سيعود يوما ليحكمهم ويلتهم أطفالهم بغيظ مضـــاعف • ومن ثم فانهم يحتفظون بنار كبير مشتعلة طوال ساعات ليلة ليالى شهر نوفمبر — وهو اليوم الذى يعد ذكرى لهروب هذا الغول من جيلجيت حتـــى يطردوا شبح هذا الملك اذا ما حاول الرجوع اليهم • وفى تلك الليلة لا يجرؤ أحد على النوم ، ولذلك فهم يصرفون الوقت فى الرقص والغناء حول النار المضطرمة •

وهنا يتضح التطابق العام بين هذه الحكاية الهندية وحكاية شمشون ودليلة من ناحية • والحكايات السلافية والكلتية من ناحية أخرى • وربما كان هذا التشابه أكثر اقترابا لو أن قاص الحكاية الهندية كان قد ذكر الاجابات المزيفة المضللة التى يمكن أن يكون الغول قد قدمها لابنته فيما يختص بسر روحه • ذلك أنه بمقارنة هذه الحكاية بالحكايات السلافية والعبرية والكلتية التى تشبهها ، فانه يحق لنا أن نفتـــرض أن الغول المـــاكر قد خدع ابنته عن طريق التظاهر بأن روحه تستقر فى أشياء لاعلاقة لها بها • وربما كانت احدى اجاباته المضللة لابنته هى أن روحه تستقر فى أوراق شجرة بعينها ، حتى اذا اصـــفرت أوراق تلك الشجرة ، فان هذا يكون علامة على موته • ولكننا نرى أن هذه النبوءة الخاطئة قد قيلت على لســـان شخص ثالث بدلا من أن أن يقولها الغول نفسه •

وبينما تبدو وجوه التشابه بين هذه الحكايات السلافية والكلتية والهندية من ناحية ، وحكاية شمشون من ناحية أخرى فى فـــكرتها العامة ، فانها تختلف عنها فى جانب واحد مهم على الأقل • فتعاطف القارىء فى حكاية شمشون يتركز حول الساحر المخدوع الذى يصور بصورة محبوبة بوصفه شخصية وطنية وبطل قومه ، فنحن نعجـــب بأعماله ، ونشفق عليه فيما تحمله من أذى حتى مات • كما أننا فى الوقت نفسه نشمئز من خداع تلك المرأة الفاجرة الماكره التى جرت عليه بحبهـــا الزائف مصـــائب لم يكن ينتظرها من جانبها • أما فى

الحكايات الهندية والكلتية والسلافية ، فان التركيز الدرامى حول هذا الموقف عكس هذا تماما ، ذلك أن المشـــعوذ يصور فى صورة غـــير مستحبة بوصفه ساحرا يمـــارس قوته الخارقة فى تحقيق أغراض شريرة ، ومن ثم فنحن نمقت جرائمه ، ونبتهج لهزيمته • كما أننـــا نصفق للمرأة الماكره التى أفشت سره لأعدائه ، أو نحن نغفر لها على الأقل هذا الخداع ، لأنها لم تكن تبغى سوى الانتقام من شر لحـــق بها هى وبقومها من قبل هذا الساحر • وبناء على ذلك فان دور كل من الشرير والضحية ينعكس فى الأداءين المختلفين لموضوع واحـــد • ففى حكاية شمشون ودليلة يصور شمشون بوصفه الضحية البريئة ، كما تصور المرأة بوصفها الشخصية الشريرة المـــاكرة • أما فى الحكايات السلافية والكلتية والهندية ، فان الســـاحر يمثـــل شخصـــية الشرير المـــاكر ، فى حين أن المرأة تقوم بدور الضحية البريئة ، أو أنها عـــلى الأقل تقوم بصفة عامة بدور الزوجة المخلصة لزوجها ولقومها • وقد لا يساورنا شك كبير فى أنه لو كانت لدينا الرواية الفلسطينية لحكاية شمشون ودليلة ، لوجدنا الوضع يختلف بالنسبة للشرير والضحيـــة عنه فى الحكاية العبرية ، فربما وجدنا شمشون مصورا بوصفه الشرير المخادع الذى سلب وقتل الفلسطينيين العزل ، ولربما بدت لنا دليلة بوصفها الضحية البريئة لشراسة شمشون ، ولكنهـــا ســـعت بسرعة بديهتها وشجاعتها النادرة أن تنتقم فى الحال مما لحق بها من شر ، وأن تخلص قومها من هذا الوحش الذى طالما عذبهم فى قسوة • ففى حالة النزاع بين الشعوب يختلف موقف البطل والشرير وفقا لاختلاف نظرة كل شعب له ، فقد يبدو الرجل نفسه أروع بطل اذا نظر اليه من الجانب الآخر • كما أننا نراه من وجهة نظر شعب من الشعوب محاطا بأكاليل الزهور ، بينما نراه من وجهة شعب آخر مرجوما بالأحجار • اى أننا يمكننا أن نقول على وجه التقريب ، ان كل شخص استطاع أن يثبت وجوده فى خضم الحوادث التاريخية المضطربة ، انما هـــو أشبه بالمهرج الذى يرتدى رداء تتعدد ألوانه • وهذه الألوان تختلف حيثما نظر اليها من الأمام أو من الخلف أو من اليمين أو من اليسار •

فكل من أعدائه وأصدقائه ينظرون اليه من جانبين متقابلين ، ومن الطبيعى أن كلا منهما لا يرى الا اللون الذى يراه من ناحيته • ومن ثم كان من واجب المؤرخ المنصف أن ينظر الى هؤلاء المهرجين من كل جانب وأن يصورهم بأرديتهم ذات الألوان المتعددة ، ولا يصورهم فى أردية بيضاء فحسب كما يبدون لأصدقائهم أو فى أردية سوداء فحسب كما يبدون لأعدائهم •